إصدارات مركز العلم والعمل

معهد العلم والعمل (بالوحي نحيا)

برنامج التعريف بمنهاج العلم والعمل

المبادرات التطبيقية

مشروع (القرآن) علم وعمل

الدراسة التدبرية التزكوية للقرآن بمنهاج العلم والعمل

إعداد: د. شريف طه يونس

استشاري طب الأطفال

دكتوراة الدراسات الإسلامية

رئيس مجلس إدارة مركز العلم والعمل

رئيس مجلس إدارة أكاديمية المتدبر الصغير

رئيس مجلس إدارة أكاديمية بهجة للتعليم المُعاون

رئيس مجلس إدارة جمعية روح الحياة للخدمات الصحية والتعليمية

على عتبات الكلمات

هذا الكُتَيِّبُ يُعَرِّفُ تعريفاً (إجمالياً) بمشروع (القرآن علم وعمل)؛ والذي يهدف للدراسة (التدبرية التزكوية) للقرآن الكريم بمنهاج العلم والعمل (منهاج النبوة الرباني)[1].

ويعتبر هذا المشروع هو أول وأهم (المبادرات التطبيقية) لمنهاج العلم والعمل النبوي الرباني؛ فقد كان لبقية (المبادرات) بمثابة الأساس والنبراس.

فلقد انبثقت عن هذا المشروع الكثير من المبادرات التطبيقية والبرامج التشغيلية للكبار والصغار، والرجال والنساء، والمتخصصين والجماهير.

ونؤكد أن ما نتناوله هنا هو التعريف الإجمالي بالمشروع أما (التعريف التفصيلي بحقائقه ودقائقه) فنجده مبثوثاً في الإصدرات المتعلقة بإطاري المشروع: المفاهيمي (التأصيلي)، والمهاري (التفعيلي التشغيلي).

ولقد كان اهتمامي الأكبر في هذا التعريف ببيان صلة المشروع بمنهاج العلم والعمل؛ وخدمته لمقاصده، وبيان الأصول الكبرى والمنطلقات المنهاجية التي انطلق منها، وما كان من (تفاصيل) فإنما كان لخدمة وبيان الحقائق والأصول.

ولأن المشروع خرج من رحم المكابدات العلمية العملية؛ لذا نجد التعريف به ممزوجاً باستعراض بعض التجارب الشخصية، والأحداث الواقعية.

فالله أسأل، وإليه أتضرع وأتوسل، أن ينفع بذاك المشروع المبارك، ويكتب له القبول؛ إنه أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، وهو بكل جميل كفيل، وهو وحده حسبنا ونعم الوكيل.

---

[1] نوصي بمطالعة كتاب (منهاج العلم والعمل: المنهاج النبوي في البناء والتزكية والتعليم)؛ حيث نجد فيه الكثير من التأصيل والتفصيل ومبادرات التفعيل؛ وهناك مختصر للكتاب ضمن كتاب (منهاج الطالب المسلم).

✍ أولا: تعريف إجمالي بالمشروع

هو مشروع (تعليمي تزكوي بنائي) يهدف إلى (إحياء[1] المنهاج النبوي) في التعامل مع القرآن الكريم علماً (تأصيلاً) وعملاً (تفعيلاً)، صلاحاً (تعلماً وتعبداً) وإصلاحاً (تعليماً وتعبيداً)، ويسعى لتقريبه وتيسيره - على كل المستويات، وباستخدام أحدث الوسائل (المشروعة) - لجميع فئات المسلمين على تباين أعمارهم ومستوياتهم في كل ربوع الأرض.

وذلك من خلال (تسديد وتجويد وترشيد) تعلم (معاني ومباني) القرآن، وتدبره، واتباعه، والتزكي والانتفاع الأمثل به، وإعانة المسلمين على أن يكونوا من أهل القرآن من الدرجة الأولى (الربانيين العالمين العاملين المعلمين)، وتعليم المسلمين كيفية القيام (بحقوق القرآن) كاملة، وتسديد العديد من (المفاهيم والممارسات) المتعلقة بالقرآن، ويتم كل ما سبق عن طريق العديد من البرامج والدورات والمحاضرات والورشات.

ويدعو المشروع إلى (ترتيب الأولويات واستثمار الطاقات) في الأهم فالمُهِمّ في التعامل مع القرآن في ضوء مراد الله منَّا فيما يتعلق به، ويُنَبِّهُ على (أبعاد غائبة) في التعامل مع القرآن؛ وخصوصا مسألة (العمل والتزكي بالقرآن والعناية بمعانيه درايةً ورعاية)؛ ويُعْتَبَرُ بمثابة (ثورة مفاهيمية تصحيحية تحسينية) لكثيرٍ من المصطلحات والممارسات الخاصة بتعاملنا مع القرآن.

لذا فالمشروع دعوة من القلب للارتقاء بالتعامل مع القرآن، وليس دعوة لهدم ما هو قائم؛ بل هو دعوة (للترميم والتتميم والتدعيم والتدويم)؛ لتكتمل منظومة الانتفاع بالقرآن؛ ونكون أسعد الناس به، ونحقق مراد الله منا.

---

[1] ونؤكد على أن الهدف هو الإحياء والاتباع، وليس الإنشاء والاختراع والابتداع.

✍ رؤية المشروع:

أن يطبق كل مسلم في العالم - إن شاء الله - المنهاج النبوي في التعامل مع القرآن الكريم، فيكون الوصول إلى الدرجة الأولى من أهل القرآن والتزكي به، هو طموح المسلم فيما يتعلق بالقرآن في الأجيال القادمة.

✍ سِرّ التسمية:

لَمَّا تتبعنا المنهج النبوي في التعامل مع القرآن وجدناه ﷺ يوصي بلسان مقاله بأن يكون (العلم والعمل) هو منهج التعامل مع القرآن؛ ووجدناه ﷺ يوصي بلسان حاله بذلك؛ وذلك فيما أخبر به الصحابة ﷺ عن المنهجية التي تعلموا بها القرآن؛ لذا آثرنا تسمية المشروع بهذه العبارة[1] التي جاءت على لسان الرسول ﷺ ولسان أصحابه ﷺ.

✍ شعار المشروع:

- وذاك (المنهاج النبوي) المجيد الرشيد السديد شعاره هو شعار (منهاج العلم والعمل) وهو (بالوحي نحيا)[2]؛ والذي يشير إلى مكافحة تنحية الوحي، ويؤكد على حتميته، وضروريته، وأولويته، وفوقيته، وحاكميته، ومركزيته على مستوى (المصدرية ودرجة المشروعية والمنهجية).

---

[1] يرجى مراجعة الإطار التأصيلي لمنهاج العلم والعمل لمطالعة النصوص الدالة على ذلك.

[2] قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ (رُوحٗا) مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، فالوحي قد جعله الله سبباً في (حياة) وحركة (القلوب والإيمان)، كما جعل الروح سبباً في حياة وحركة القوالب والأبدان. وقال تعالى مؤكداً على أن (الوحي يُحْيي): ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا (فَأَحۡيَيۡنَٰهُ) وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا (يُحۡيِيكُمۡ)﴾ [الأنفال: ٢٤]، فكلام الله عزوجل ورسوله ﷺ (يُحْيي).

○ كما يمكن أن نقترح له شعار (علمٌ نافع، وعملٌ رافع)[1] مؤكدين على معالم المنهجية والآلية السديدة الرشيدة في الإحياء بالوحي (صلاحاً وإصلاحاً).

وإنَّا لنرجو بهذا المشروع أن يرضى الله عنا، ويكتبنا من أهل القرآن، وأن (يحيينا) بالوحي، ويعيننا على (الإحياء به)؛ لعل الله لَمَّا يرى غيرتنا لكلامه، ورغبتنا في أَزِّ الناس إلى القيام بحقوقه وإكرامه، يجود علينا بالمغفرة والرضوان والرحمة، ويكتبنا من أهل القرآن ويتم عليّنا النعمة.

اللهم إنك تعلم أننا اجتهدنا في أن نكون صادقين في مقصدنا، اللهم بلغنا بنوايانا وآمالنا ما تقصر عن الوصول إليه جهودنا وأعمالنا، وأوصل كلماتنا لكل إنسان، وانشر فكرتنا في كل مكان.

[1] أمرنا الله أن نطلب منه مراتٍ عديدة يومياً أن يرزقنا العلم النافع والعمل الرافع لنُشابه منهاج (الذين أنعم عليهم)، كما أمرنا أن نستعيذ من منهاج (المغضوب عليهم) الذين يعلمون ولا يعملون، ومنهاج (الضالين) الذين يعملون ويجهلون، وأثنى على بعض الأنبياء بأن لديهم (علم) بلغ بهم حد قوة الفهم والتصبر (تعانق) مع (عملٍ) بلغ بهم حد قوة العزم والتصبر؛ فقال عنهم: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥]، وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من العلم الذي لا ينفع، والعمل الذي لا يُرفع (صحيح الجامع: ١٢٩٥)، ويسأل الله "علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً" رافعاً (صحيح ابن ماجة: ٧٦٢)، ويوصينا بذلك (الصحيحة: ١٥١١).

ثانيا: أركان منهاج النبوة في التعامل مع القرآن[1]

👌 قام المنهاج النبوي في (التعامل مع القرآن) بشكلٍ (خاص) على ثلاثة أركان:

- الأول: العناية بالمعاني والمباني معا (الإيمان والقرآن)؛ فلا يعتنون بالمباني فقط كما يفعل الكثير منا اليوم.
- الثاني: العناية بالمعاني أكثر من المباني وتقديمها عليها في الأهمية والأولوية وترتيب الخطوات التعليمية (الإيمان قبل القرآن)؛ فحقوق (المباني) من (الضبط والقراءة وحفظ الرواية)، كانوا يطلقون عليها (القرآن)، وحقوق (المعاني) من (الفهم والتدبر والاتباع)، كانوا يطلقون عليها (الإيمان)، وكانت الدراية والرعاية (حقوق المعنى) قبل الرواية (حقوق المبنى)[2].
- الثالث: العناية بالمعاني كانت (علماً وعملاً، وصلاحاً وإصلاحاً)؛ ولم تكن علماً (فهماً أو تفسيراً) فقط كما يفعل الكثير منا اليوم.

[1] ذكرنا تفاصيل ذلك في كتاب (رحلة البحث عن أهل القرآن: النسخة المنظورة)، وذكرناه مختصراً في كتيب (أركان المنهج النبوي في التعامل مع القرآن)، وذكرنا طرفاً منه في (منهاج الطالب المسلم).

[2] ولا نقصد بتقديم (المعاني على المباني)، ترك المباني كليةً لما بعد العناية بالمعاني، بل نقصد أخذ قدر من حقوق المباني وهو (القراءة والضبط الأولي) ليساعدنا على الفهم، ثم نؤخر بقية حقوق المباني من إتقان للرواية واستظهار وكثرة تلاوة وغيرها لما بعد الفهم والتدبر والعمل، وذلك القدر الذي نأخذه أولا من حقوق المباني ليس للمباني ذاتها، بل لكونه وسيلة مساعدة على القيام بحقوق المعاني، ثم نشرع في تكميل حقوق المباني بعد المعاني؛ وبذلك يكون: حفظ الرواية (إتقان التجويد والاستظهار) تاليا لحفظي الدراية والرعاية.

✍ أولاً: أصرح الأدلة على الأركان السابقة:

- ومن أصرح الأدلة على تلك الأركان قول أبي عبد الرحمن السلمي ﷺ:

حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ[1]: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: "فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ"[2].

وفي رواية: "فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا"[3].

وفي رواية: أن رسول الله (ﷺ) كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، (قالوا): "فتعلمنا القرآن والعمل به جميعًا، وَسَيَرِثُ القُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَشْرَبُوْنَهُ شُرْبَ المَاءِ، لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ"[4].

- ويؤكده قول ابن مسعود ﷺ: "كانَ الرجل مِنَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهنَّ، والعملَ بهنَّ"[5].

---

[1] ذكر الذهبي في معرفة القراء الكبار (١/٥٢-٥٧) أنه تعلم من (عثمان وعلي وابن مسعود وأُبَيّ وزيد) ﷺ.

[2] مسند أحمد (٢٣٤٨٢)، تفسير الطبري (١/٧٤)، وحسَّنه محقِّقو المسند، والشيخ الحويني.

[3] تفسير مجاهد (ص١٩٣)، تفسير ابن عطية (١/٩)، مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص: ٩).

[4] تفسير الطبري (١/٨٠)، سير أعلام النبلاء (٤/٢٦٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر، والشيخ الحويني، وقوله: (يشربونه شرب الماء)، بمعنى: أنهم أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، انظر: شرح صحيح البخاري للحويني (٧/١٢) ومن أمثلة هؤلاء الذين يتحدث عنهم أبو عبد الرحمن (الخوارج)، الذين قال ﷺ عنهم: "يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ لَيِّنًا رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ"، قال النووي: «أَيْ: يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ سَهْلًا لِكَثْرَةِ حِفْظِهِمْ»، وقَالَ: «الْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِيهِ حَظٌّ إِلَّا مُرُورَهُ عَلَى لِسَانِهِمْ لَا يَصِلُ إِلَى حُلُوقِهِمْ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى قُلُوبِهِمْ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ تَعَقُّلُهُ وَتَدَبُّرُهُ بِوُقُوعِهِ فِي الْقَلْبِ» شرح صحيح مسلم (٤/٢١)، وقال الزركشي في البرهان (١/٤٥٥): "ذَمَّهم بإحكام ألفاظه، وترك التفهم لمعانيه"، وليس ذلك اتهام لمن أهمل المعاني - أو أسرف في العناية بالمباني على حساب المعاني - بأنه من الخوارج لكنه تحذير من مشابهتهم.

[5] تفسير الطبري (١/٨٠)، وصحح شاكر وقفه ورفعه (معنىً)، وكذلك محقِّقو المسند والحويني.

وفي رواية: "كُنَّا نَتَعَلَّمُ مِنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) عَشْرَ آيَاتٍ فَمَا نَعْلَمُ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهُنَّ حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا أُنْزِلَ فِي هَذِهِ الْعَشْرِ مِنَ الْعَمَلِ"[1].

- وقول الصحابة ﷺ: "القرآن والعمل"، أو "القرآن والعلم والعمل"؛ **الظاهر أنه لا يراد منه الترتيب والله أعلم، وإنما يراد حكاية شمولية منهاجهم للقرآن والإيمان والعلم والعمل**، وكانت البداية بالإقراء للتأكيد على أنهم لم يحصلوه فقط، وإنما حصلوا ما هو أكمل منه أيضاً، وهو العناية بالمعاني، وسيأتي من **كلام ابن مسعود ﷺ وابن عمر ﷺ وغيرهما ما هو صريح في الترتيب.**

- فمن عباراتهم التي تفيد **تقديم العلم بالمعاني والعمل بها (الإيمان أو حفظي الدراية والرعاية)** على العلم بالمباني والتوسع فيها (القرآن أو حفظ الرواية)، قول ابن مسعود ﷺ: "إنّا صَعُبَ علينا حفظُ ألفاظ القرآن، **وسَهُلَ علينا العمل به**، وإن مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم **العمل** به"[2]، وما سهولة العمل عليهم إلا **لأنهم تعلَّموا العمل (الإيمان) قبل أن يتعلموا المباني** والألفاظ (القرآن)، فقد رباهم (ﷺ) على منهجية (الإيمان قبل القرآن).

- ويرى أن **العناية بالمباني على حساب المعاني وإهمالها في حد ذاته فتنة؛** فقد قَالَ لأصحابه: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ قَالُوا: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ"، قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: «إِذَا **كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ** ...»[3].

---

[1] شرح مشكل الآثار (٤/٨٢).

[2] تفسير القرطبي (١/٤٠).

[3] سنن الدارمي (١/٢٧٨)، وصححه المحقق، والألباني في صَحِيح التَّرْغِيبِ (١١١)، وقال عنه: "**وهو موقوف في حكم المرفوع؛ لأنه من أمور الغيب** التي لا تدرك بالرأي ولا سيما وقد وقع كل ما فيه".

وقَالَ لبعضهم: «إِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ فُقَهَاؤُهُ، قَلِيلٌ قُرَّاؤُهُ، تُحْفَظُ فِيهِ حُدُودُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيَّعُ حُرُوفُهُ ... وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ قَلِيلٌ فُقَهَاؤُهُ، كَثِيرٌ قُرَّاؤُهُ، يُحْفَظُ فِيهِ حُرُوفُ الْقُرْآنِ، وَتُضَيَّعُ حُدُودُهُ ...»[1].

وقد نَبَّه (ﷺ) لتلك المشكلة، وَحَذَّرَ منها، حين قال: «سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْقُرَّاءُ، وَتَقِلُّ الْفُقَهَاءُ...»[2].

- ويؤكد عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) ما قرره ابن مسعود (رضي الله عنه) فيقول: "كَانَ الرَّجُلُ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَصَالِحِيهِمْ مَا يُقِيمُ إِلَّا سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ (أي: حفظ رواية) أَوْ شِبْهَ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقُرْآنُ (أي: حفظ الرواية) ثَقِيلًا عَلَيْهِمْ وَرُزِقُوا عِلْمًا بِهِ وَعَمَلًا (أي: حفظي الدراية والرعاية)"، ثم يقول: "وَإِنَّ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَخِفُّ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنُ حَتَّى يَقْرَأَهُ الصَّبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ لَا يَعْلَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا، أَوْ قَالَ لَا يُسَلِّمُونَ مِنْهُ الشَّيْءَ"، وفي رواية: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله (ﷺ) في صدر هذه الأمة لا يحفظُ من القرآن إلا السورة ونحوها، ورُزقوا العمل بالقرآن، وإنّ آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يُرزقون العمل به"[3].

---

[1] الموطأ (١/١٧٣)، قال الحافظ في الفتح (١٠/٥١٠): "إسناده صحيح ومثله لا يُقال من قبل الرأي"، ووافقه الألباني في الصحيحة (٧/٥٧٧)، قال الباجي في المنتقى (١/ ٣٠٨): "لم يرد بذلك ... أن من يقرأ القرآن كان قليلًا في زمانه وإنما أراد أن من يقرأ القرآن فيكون حظه منه قراءته دون الفقه فيه قليلٌ ... ولم يرد أن كثرة القراء عيبٌ في ذلك الزمان وإنما عابه بقلة الفقهاء فيه، وأن قراءه لا يفقهون ولا يعملون به، وإنما غايتهم منه تحفظه وهذا نقصٌ وعيبٌ فيهم"، قال ابن بطال في شرحه على البخاري (١٠/٤٢١): "فَذَمَّ من حفظ الحروف وضيع العمل، ولم يقف عند الحدود، ومدح من عمل بمعاني القرآن، وإن لم يحفظ الحروف"

[2] المستدرك (٤/ ٥٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني أخيراً في الصحيحة (٣٣٥٠، ٣٤٧٠)

[3] مجموع الفتاوى (٦/٦٥٠) للرواية الأولى، تفسير القرطبي (١/٤٠) للثانية، ولم يكن ثقل الحفظ عليهم لنقص قدراتهم، وإنما لكون منهاجهم كان استثقال حفظ ألفاظ لا يفهمونها ولا يعملون بها، فالصعوبة ليست حقيقية بقدر ما هي مجازية أو منهجية.

☝ ومما تجدر الإشارة إليه أن الصحابة ﷺ يتكلمون عن هذه المسألة بما يشي بأنه **إجماع عملي** منهم على أن منهجية تَعَلُّم القرآن وتعليمه هي (العلم والعمل، والإيمان قبل القرآن).

ومن شواهد ذلك الإجماع: أنهم يتكلمون دوما بصيغة الجمع، ويذمون المخالف ولا يسكتون عنه، ولا يُعْلَم لهم في زمانهم مُخالف[1].

✍ **ثانياً: أدلة من القرآن:**

- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ **وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ** إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩][2].
- وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ** مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤][3].

---

[1] **ومما يُستأنَس به أن بعض تلك الآثار قد استخدمها بعض العلماء في حكاية الإجماع**؛ فقد استخدم الإمامان النحاس والداني أثر ابن عمر "لقد عشنا برهة...." في التدليل على تعليم الوقفِ توقيفٌ من رسول الله ﷺ، وأنَّه إجماعٌ من الصحابة ﷺ، انظر: القطع والائتناف (ص: ٢٨)، والمكتفى (ص: ١٦).

[2] **ففيما يخص (التلاوة):** قال في المنار (١٨٢/٤): "وَتِلَاوَتُهَا عِبَارَةٌ عَنْ تِلَاوَةِ مَا فِيهِ **بَيَانُهَا وَتَوْجِيهِ النُّفُوسِ إِلَى الِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا وَالِاعْتِبَارِ بِهَا**"، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير (٧٢٣/١): "فهو يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِمْ **قِرَاءَةَ تَذْكِيرٍ**"، **وفيما يخص (تعليم الكتاب):** قال القرطبي في تفسيره (١٣١/٢): «وَقِيلَ: ... **وَالْكِتَابُ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ**»، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٥٩/٤): "وَتَعْلِيمُ الْكِتَابِ هُوَ **تَبْيِينُ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ** وَأَمَرَهُمْ بِحِفْظِ أَلْفَاظِهِ، **لِتَكُونَ مَعَانِيهِ حَاضِرَةً عِنْدَهُمْ**"، **وفيما يخص (تعليم الحكمة):** قال ابن قتيبة في غريب القرآن (ص: ٣٣): "{الحكمة}: **العلم والعمل**"، وقال الراغب في تفسيره (٦٧٥/٢): "فإن الحكيم في الحقيقة **من عمل بما علم**، وكان **محكماً لعمله إحكامه لعلمه**"، وقال ابن رجب في اللطائف (ص: ٨٤): "ويعني بالحكمة: **فهم معاني القرآن والعمل بما فيه ... فالحكمة هي العلم النافع الذي يتبعه العمل الصالح**"، وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير (٦١/٣): "والحكمة إتقان العلم **وإجراء الفعل على وفق ذلك العلم**".

[3] يقول القرطبي في تفسيره (١٠٩/١٠): "{لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْأَحْكَامِ **وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ بِقَوْلِكَ وَفِعْلِكَ**"، ويقول السعدي في تفسيره (ص: ٤٤١): "وهذا شامل لتبيين ألفاظه **وتبيين معانيه**".

✈ ثالثا: بعض محطات رحلة المُكابَدات

لم يكن هذا المشروع أبداً طرحاً نظرياً أو كلاماً فلسفياً؛ بل المشروع - بتوفيق الله - ينبض بالواقعية، ويرسم لنا المعالم التطبيقية، ويأخذ بأيدينا إلى الخطوات العملية؛ **ولم يكن المشروع وليد أيام - أو حتى شهور** - بل هو حصيلة ما يقارب عشرين سنة من البحث والاطلاع والترتيب والتبويب، ثم التجارب الحية والبرامج التطبيقية، ويعلم الله كم أخذ هذا المشروع من وقتنا وجهدنا وفكرنا؛ **فالمشروع باختصار: رحلة حياة، ومشروع عمر.**

لقد تطور المشروع خلال عشرين سنةٍ تأطيراً وتأصيلاً وتفعيلاً حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن، **بدأ بتجربة شخصية** لمحاولة فهم طبيعة العلاقة بالقرآن الكريم، وسبر أغوار مراد الله منا فيما يتعلق بكتابه؛ ثم محاولات شخصية لتطبيق التدبر والقيام بحقوق القرآن، **وبعد استقرار تلك المحاولات الشخصية وتأطيرها نسبياً، تم الانتقال إلى التجربة الجماعية.**

✍ رحلة البحث عن أهل القرآن:

ذهبتُ إلى الكُتَّاب وأنا صغيرٌ؛ لا لشيء إلا لأنَّ صديقي يذهب إليه. بدأتُ أحفظ؛ فكنت أحفظ قرابة خمس صفحات يوميًّا، **لم أكن أدري لِمَ كنتُ أحفظ؟** لكنني كنت مولعاً بتلك التجربة التي يبرز من خلالها تميُّزي على أقراني، إذ كنت شغوفًا بالتميز، وطُوِيَتْ تلك الصفحة من صفحات علاقتي بالقرآن، بطرد الشيخ لي من الكُتَّاب؛ لأنني تأخرت في دفع أجرة التحفيظ (الشهرية).

استأنفتُ - بعدَ شهورٍ - **صفحةً جديدةً في كُتَّاب آخر**، زادتني من الكتاتيب ومن مُعلِّمي القرآن نفوراً، فلم يكن يمرُّ يومٌ إلا وأسمع صراخ الأطفال بسبب ما يتعرضون له مِن ضربٍ مُبْرح.

لم يضربني أحدٌ؛ لأنني كنت أحفظ جيدًا والحمد لله، لكنني أدركت أنني سأُضرَب يومًا ما؛ لذا آثرت أن أطوي تلك الصفحة بنفسي، **وأهرب بكرامتي** قبل أن تُراق على أرض الكُتَّاب، والذي كان - للأسف - **بالمسجد**.

كنتُ أتساءَلُ ببراءة الأطفال حينها: **هل كان النبي ﷺ والصحابة يُعلِّمون الأطفال بهذه الطريقة العنيفة؟**

ما زال الحنين يعاودني لحفظ القرآن، ولا أذكر لذلك دافعًا حينها سوى شعوري بالنقص؛ لأنني لا أحفظ القرآن كله، كيف أكون الأوَّلَ على مدرستي ولا أحفظ القرآن؟!

فخضتُ تجربة أخرى لم تكن أحسن حالًا من سابقتيها.

لكنَّني-رغم كل ذلك - كنتُ أشعر بحبٍّ للقرآن وحنينٍ له، **كان لقلبي كالمغناطيس يجذبني دومًا إليه، وكلما اقتربت من مداره احتضنني**، لكن ما رأيته في واقع التعليم القرآني حينها جعلني أطوي صفحة الحفظ.

وكطفلٍ مُغرمٍ بالقراءة كنتُ أطالع القرآن بين الحين والآخر، لكنني **كنتُ أقرأ القصص فحسب**، وكانت تعجبني جدًّا حيث أجدها بالغة التميُّز، لا سيما وخبرتي بالقصص والروايات كبيرة، فقد كانت حصيلتي في ذلك الحين من قراءة القصص والروايات تربو على الثلاثمائة.

لم أعتد أن أقرأ قصةً لمجرد قراءة الحروف، بل كنتُ **أقرأ للتسلِّي بالمعاني والأحداث** وإشباع هواية القراءة، وعليه فقد كنتُ أقرأ قصص القرآن بالطريقة نفسها، وكانت لديَّ تساؤلاتٌ كثيرة، لكنني لم أكن أكترث كثيرًا بالتفاصيل ما دمتُ قد فهمتُ مجمل أحداث القصة، وخاصة أنني كنت أعتقد

حينها أن المطلوب مني فيما يتعلق بالقرآن أن أقرأه أو أحفظه حفظ روايةٍ، ولذلك كنتُ أرى أن ذاك الذي أفعله من محاولةِ الفهم هو تطوعٌ محضٌ مني.

عرفتُ أنَّ هناك **كتبًا لتفسير القرآن**، فبدأتُ في مطالعة بعضها بالمسجد، وكنتُ أسعد كثيرًا بأنَّ ما في هذه الكتب - عدا بعض الألفاظ - كان يوافق ما فهمته من القراءة المباشرة في المصحف، وبقيت فترة على هذه الحال.

مَنَّ الله عليَّ بالعزْم على الاستقامة، ففكرْت في الرغبة التي كانت تُراودني قديمًا، أنا الآن قد بلغت من العمر **ستَّة عشر عامًا تقريبًا**، قَيَّض الله ﷻ لي شيخًا فاضلًا، رتَّب لي موعدًا خاصًّا.

لم يكن يكلفني بتكاليف ترهقني، ولم يشدِّد عليَّ في شيء، قطعتُ معه شوطًا كبيرًا، ثم واصلتُ مع شيخٍ فاضلٍ غيره، ثم أتممت حفظ القرآن، **وأخيرًا تحقق ما كنتُ أسعى إليه في صغري**.

وأثناء مرحلة الحفظ كنت أقرأ عن القرآن وأثره وفضله، **لكنني بعد أن أتممت استظهاره (روايةً) لم أجد شيئًا من ذلك في نفسي**، فأخلاقي كما هي، وأفكاري هي هي، وطريقة تعاملي مع غيري لا جديد فيها.

✍ **وحينها توقفتُ مع نفسي مُفكِّرًا:**

- إما أن يكون **القرآن** بلا أثرٍ تطويري أو تطهيري، وما عرفته عنه فيه مبالغة.
- وإما أن أكون **أنا** إنسانًا غير قابل للتأثر والتطور بالقرآن.
- وإما أن تكون **طريقة تعاملي** مع القرآن هي التي تَحُول بينه وبين التأثير فيَّ.

ومن هنا وجدتُّ أنَّ **عليَّ أن أتَعَرَّف أولًا على الأثرِ** الذي من الممكن أن يقوم به القرآن في حياتي.

ثم عليَّ بعد ذلك أن أعرف لِمَ تخلَّفَتْ تلك الآثار الإيجابية العظيمة للقرآن عن الظهور في حياتي؟

ثم أعرف ما ينبغي عليَّ فعله ليُحقِّق القرآنُ فيَّ ذلك الأثر المأمول؟

إنها باختصار قضية (تحديد الموجود والمنشود؛ لتحصيل المفقود).

فاكتشفت أنني لم أكن أعرف القرآن، وأنَّه كانت لديَّ تصوراتٌ خاطئةٌ تمامًا عن طبيعة العلاقة به، حتى إنني لما كنت أريد استظهاره أولًا؛ كان ذلك لإشباع رغبة داخلية في التميُّز.

ثم لما حفظته أخيرًا اكتشفتُ أنه انضاف لذلك الغرضِ رغبتي في أن تكون النصوصُ والأدلةُ حاضرةً في ذهني في خطاباتي الدعويَّة والعلميَّة، فأنَّى للقرآن أن يؤدي في حياتي دورًا، أو يحدث فيّ أثرًا؟!!

لقد كان توصيف المشكلة بدقة: (خللٌ في المقصد {والنية}، وخللٌ في الطريقة {والمنهجية}).

لذا فإن لي عتابًا كبيرًا على بعض معلمي القرآن الذين يُقصِّرون في تفهيم الطالب طبيعة علاقته بما يتعلمه، والغرض الذي لأجله يتعلم ويستظهر، ولا يعينونه على تحقيق مراد الله منه فيما يتعلق بالقرآن، لكن أنَّى لهم أن يفعلوا ذلك، وكثيرٌ منهم - للأسف - لا يعرفه أصلاً، ولا يدرك حتى أهميته؟!!!

وددتُ لو قَيَّضَ الله عزوجل لي في الصغر مَن يعلمني لِمَ أتعلم؟ ويعلمني كيف أعمل بما أتعلم؟ ويتعاهدني في تطبيق ما تعلمته؛ كما كان النبي ﷺ يفعل مع الصحابة ﷺ، ووددتُ لو قَيَّضَ الله عزوجل لي مَنْ يعلمني أن العلم والاستظهار (وسيلة)، وأن العمل والاتباع (غاية).

لم تكن تلك أمنيتي وحدي، بل أعرف الآلاف ممن تمنوا ما تمنيت، فأسأل الله أن يحقق أمنياتنا في الأجيال القادمة.

وبعد كل ما سبق ذكره؛ عزمتُ على إعادة ترتيب الأوراق كلها مِنْ جديد، وظللت لسنوات أطالع مئات الكتب والأبحاث، في محاولة لسبر أغْوَار كل ما يتعلق بالقرآن، فكان حصاد تلك الرحلة كتابي (رحلة البحث عن أهل القرآن).

لقد كانت هذه الرحلة ضرورية، ويا ليتها كانت منذ أول يوم وَعَيْتُ فيه على الدنيا، فقد كنت بحاجة إلى أن أعْرِفَ: مَنْ هُمْ أهل القرآن؟ وما صفاتهم؟ وكيف أَكُونُ مِنْهُم؟

لقد كان من الضَّرُوري أن أبحث عَنْ أهل القرآن الذين أرادهم الله عزوجل والذين تحدَّثَ عنهم رسول الله ﷺ.

لقد كنت بحاجة إلى ثَوْرَة مفاهيمية تصحيحية على كثير من المصطلحات لأنتقل من معانيها العُرْفِيَّة إلى معانيها الشرعية، لقد كان قاموس تلك المصطلحات لَدَيَّ بِحَاجَة إلى تصحيح، وقد رَأَيْتُ أنَّ الخلل المفاهيمي قد أفرز خللًا سلوكيًّا واضطرابًا منهجيًّا.

والله لقد نَدِمْتُ على كل يوم مَرَّ من حياتي كنت غافلًا فيه عن مراد الله مني فيما يتعلق بالقرآن، ولا أريد لأحد من المسلمين أن يمر بما مررت به، فعزمتُ على أن أوقف حياتي على دعوة الناس لعلاقة أرْقَى بالقرآن، يتَحَقَّق من خلالها مرادُ الله منا فيما يتعلق بكتابه، وأحلم بيوم أرى فيه الأمَّة كُلها قد أصلحت علاقتها بكتاب ربها، فهلا شاركتني حلمي!

☚ تساؤلات:

☒ ومن حقك أن تسأل: ولِم الانشغال بأهل القرآن؟

وهنا أفسح المجال لميمون بن مهران ليتولى الرد عني؛ فيقول: "لو أنَّ أهلَ القرآنِ صلحوا لصلح الناس"[1].

وكتب عمر ﷺ إلى سائر البلدان "أَنْ لَا يُسْتَعْمَلَ عَلَى الْأَعْمَالِ إِلَّا أَهْلُ الْقُرْآنِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ خَيْرٌ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِنْدَهُ خَيْرٌ"[2].

☒ ولعل أحد الفضلاء يتسائل مندهشًا: ومَنْ أنت حتى تتكلم عن القصور الحاصل عند بعض حفظة القرآن أو قُرَّائِه؟

فأقول: أنا إنسان لا يَعْدِل - ولا يعدل ملء الأرض من أمثاله - قلامة ظفر واحد ممن يحفظ آية أو حرفًا من كتاب الله أو يشتغل به (رغم أنني أحفظه والحمد لله كله)، لكنني أحب ربي وأحب كتابه وأحب كل المنشغلين به بأية صورة، وأتمنى لهم أكمل حال؛ ليليق تعاملهم مع القرآن بكلام ذي الجلال.

ولا أدعي أنني أضحيتُ من أهل القرآن، بل أوقن أنني من أشد المسلمين تقصيرًا في حقه، لكنني طامع في كرم ربي أن يجعلني منهم، وما فرحتُ بشيء فرحي بأن هداني لمراده فيما يتعلق بكتابه، ولعل الله ينفع بكلامي إنسانًا واحدًا، فيرفع بالاستجابة رأسًا، أو يحمل للإصلاح فأسًا.

إنَّ الكثير من أفاضلنا وفُضلياتنا من المنشغلين بالقرآن يدركون أن أهم واجباتهم تجاهه هو (اتباعه وتدبره)؛ فلديهم القوة (العلمية الفهمية التبصرية)، لكنهم لا يتبعونه؛ لأنهم ليست لديهم القوة (العملية العزمية التصبرية).

---

[1] المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين (٢/٨٤)

[2] البداية والنهاية (١٢/٧١٠)

والبعض **لا يعرف** طبيعة العلاقة به أو **يفهمها فهمًا قاصرًا**، رغم أنه لديه القوة (العملية العزمية التصبرية) التي تدفعه وترقيه.

لذا فكل مَن يتعامل مع القرآن بحاجة إلى قوتين: قوة **علمية فهمية (نورانية)** تُبصره وتهديه، وقوة **عملية عزمية (روحانية)** تدفعه وتُرَقيه.

باختصار: بحاجة إلى **نور** يهديه في الظلمات، **وروح** تسري في قلبه ليتجاوز العقبات، ولا ينال العبد هذين المطلوبين معًا إلا **بالقيام بحقوق الوحي الشريف علماً وتدبراً وعملاً**؛ يقول تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ **رُوحًا** مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ **نُورًا** نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢].

لذا فإنني منشغل بتتبع طبيعة العلاقة بالقرآن من خلال الوحي الشريف، وباستخدام الوحي الشريف؛ لأنه أوقع وأبلغ أثرًا.

نحن ندرك أن العمل بالقرآن مهم، لكنني أريد أن يصبح عندنا إيمان راسخ أن مسألة **العمل بالقرآن واتباعه مسألة حتمية لا مناص منها، ولا يغني شيء عنها،** كما أريد أن **تتولد لدينا الدافعية** للعمل لأن نحقق مراد الله منا فيما يتعلق بالقرآن.

وَسُئِلَ عَبْدُ اللهِ الرَّازِيُّ: مَا بَالُ النَّاسِ يَعْرِفُونَ عُيُوبَهُمْ وَعُيوبَ مَا هُمْ فِيهِ، وَلَا يَنْتَقِلُونَ منْ ذَلِكَ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى طَرِائِقِ الصَّوَابِ؟ فقَالَ: "لِأَنَّهُمُ اشْتَغَلُوا بِالْمُبَاهَاةِ فِي الْعِلْمِ، **وَلَمْ يَشْتَغِلُوا فِي اسْتِعْمَالِهِ**، وَاشْتَغَلُوا بِآدَابِ الظَّوَاهِرِ، **وَتَرَكُوا آدَابَ الْبَوَاطِنِ**، فَأَعْمَى اللهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى الصَّوَابِ، وَقَيَّدَ جَوَارِحَهُمْ عَنِ الْعِبَادَاتِ"[1].

[1] شعب الإيمان (٣/٢٩٥)

☒ وفاضلٌ آخر يقول: ومَنْ أدراك أننا لا نعمل بالقرآن؟ نحن نصلي ونصوم ونفعل الكثير مما جاء بالقرآن.

فأقول: لا يخلو مسلم من أعمال حثَّ عليها القرآن وأمر بها، ولكن هل تلك الأعمال التي تقوم بها **إنما بدأتَ العمل بها كاتِّباع للقرآن لَمَّا قرأتها فيه؟**

عُدَّ بينكَ وبين نفسكَ عشرة أعمالٍ شرعتَ في تحقيقها - مواظبًا عليها - انطلاقًا من قراءَتِكَ لها في القرآن، فإذا فعلتَ؛ فهل تستطيع أن تعدَّ عشرة تغييرات سلوكية **أحدثها القرآن في حياتك؟**

ولرغبتي في أخذ استراحة من النقاش، أُسَلِّم الراية لفضيلة الدكتور خالد اللاحم؛ ليخبرنا أنَّ من يريد الانتفاع الكامل بالقرآن والعمل به عليه "**أن يقرأ القرآن بنية العمل، بنية البحث عن علم ليعمل به؛** فيقف عند آياته ينظر؛ ماذا تطلب منه؟ هل أمر يؤمر به؟ أو شيء يُنهى عنه؟ أو فضيلة يُدعى للتحلي بها؟، أو خطر يحيق به يُحذَّر منه؟ فإن القرآن هو الدليل العملي لتشغيل النفس وصيانتها، ينبغي أن يكون قريبًا من كل مسلم يربي به نفسه ويهذبها"[1].

فهل تقرأ القرآن بهذه النية؟ ورغم ذلك فنحن ندرك أن **الإنسان واقعيا قد يعتريه تقصير** فيفرط أحيانا في بعض العمل بما تعلمه من القرآن؛ لكن ذلك لا ينبغي أن يكون دأبه أو منهجه في التعامل مع القرآن.

نحن لا نخاطب أولئك الذين يتعاملون مع القرآن بمنهاج تعلمه والعمل به وقد يقصروا في مرة أو مرات، إنما نخاطب أولئك الذين لا تشغلهم قضية الفهم والتدبر والعمل من الأساس وإن شغلتهم لا تعدو حيز الأمنيات.

---

[1] مفاتح تدبر القرآن (ص: ٢٨)

✍ رحلة تحرير التدبر وتأطيره:

لم أكن وأنا صغير أعرف شيئا اسمه التدبر، لكن لَمَّا بدأتُ رحلتي للبحث عن مراد الله مني فيما يتعلق بالقرآن، وعن الطريقة التي من خلالها أعمل به وأكون من أهله، عرفتُ أن من حقوق القرآن عليّ تدبره.

لكنني لَمَّا عرفت التدبر حسبته من ذلك النوع من الأمور النظرية المثالية التي لا يستطيع تطبيقها أو الشعور بها إلا ذوي المراتب العالية من العلم والإيمان.

بدأت أطبق حقوق القرآن المطلوبة مني في كل آية، وفي البداية حسبت التدبر تفهماً، ونوعا من التمارين العقلية للخروج ببعض التأملات واللطائف والأسرار من الآيات، ومع الوقت وجدتُ أن التفهم نتيجة من نتائج التفسير، وأن الكتاب العزيز ينبغي أن يُصان عن الخوض في أسراره البلاغية والتعبيرية دون ارتكاز على أرض صلبة من التمكن في علومه.

كنا نعقد مجالس للتفسير نعرض فيها القرآن بطريقة تبرز روعة عباراته، وتناسق آياته، والحكمة البالغة في اختيار كلماته وتعبيراته، من خلال ما ذكره المفسرون في هذا الصدد، وليس من عند أنفسنا، كانت مجالس ممتعة وغير تقليدية، وكنا نقوم عنها بمزيد تعظيم وتبجيل لذلك الكتاب الجليل، لكنها لم تكن تؤثر في واقعنا شيئا، ولا تحدث في نفوسنا وقلوبنا الأثر المنشود.

ثم هداني الله بعد بحث واطلاع لضرورة إنزال الآيات على واقعنا، فشرعتُ في تطبيق ما يسمى في مشروعنا حاليا "باستخراج الوصايا العملية"، وكانت خطوة جيدة نقلتني من فهم الآيات لصياغة ما أنوي فعله في صورة أهداف سلوكية وأشياء أتمنى القيام بها.

كنا نستمتع باستخراج ما توصي به الآيات وصياغته في صورة أهداف ينبغي علينا تحقيقها، ولم يخلُ الأمر حينها من تنزيلات لتلك الوصايا على واقعنا.

لم يَكن التدبر في هذه المرحلة يتجاوز كونه **استخراجا لما توصي به** الآيات، وبعض **إسقاط أو تنزيل لها على واقعنا** سواء على المستوى الشخصي أو في حلقات التدبر التي **كانت أقرب للتفسير منها للتدبر**.

لاحظتُ أنني **لازلت لا أتَّبِع** تلك الوصايا التي أستخرجها، عَزَوْتُ الأمر حينها لضعف الإيمان، وتراكم الأدران.

كنتُ أشعر أن شيئا ما ينقصني، **أعملت آلة البحث** في عشرات الكتب والأبحاث المتعلقة بالتدبر، فألفيتُ معظمها، تحدثني عن **تعريف التدبر اللغوي وأهميته، وبعض قواعده،** ولم أظفر حينها بمَن **يرسم لي خطة لتحقيق التدبر أو يضع لي إطاراً عملياً،** كانت أغلب الكتابات غارقة في **التنظير،** وشعرت أن التدبر أمر **خاص بالعلماء** والمتخصصين في علوم القرآن.

كنتُ أعلم أن التدبر فرض عين على الراجح، فقلتُ: إذن لابد أن يكون التدبر **مُيَسَّراً بل ومُحَرَّراً ومُؤَطَراً** (أي موضوعاً في إطار وقالب عملي تطبيقي)، وفي مقدور كل أحد تطبيقه، فَمِن قواعد الشريعة الكبرى أن **المفروضات مقدورات ميسورات**[1]؛ لكنني لم أكن أعرف حتى ذلك الحين، كيف يتم تحريره وتأطيره وتيسيره؛ ليتمكن الجميع من تطبيقه؟

---

[1] قال ابن حزم تعليقاً على قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}: "**فلولا أن في وسعكم الفهم لأحكام القرآن ما أمَرَكم بتدبره** ... فليت شعري كيف قَصُرَت عقولكم **عن فهم** ما افترض الله تعالى عليكم تدبره والأخذ به ... وقد أَيْقَنَّا أن الله عز وجل لا يأمرنا بشيء **إلا وقد سَبَّبَ لنا طُرقَ الوصول إليه وسَهَّلَهَا وبَيَّنَها**" انظر: الإحكام (١٣٢/٦).

كثيرا ما كان يصدمني، بل وأحيانا **يُحبطني**، واقع النظرة التي يتعامل الناس بها مع التدبر، **لقد أراده الله للجمهور، لكن البعض أراد له أن يبقى في عداد المحصور**، لقد أراد الله له أن يكون فرض عين؛ لكن البعض جعله فرض كفاية لا يقوم به إلا أرباب البلاغة وغيرهم من المتخصصين، **لقد أكد الله أن التدبر يسير؛ لكن البعض يأبى إلا أن يلقي عليه بضبابات التعسير**.

كثيرا ما كان يتردد بداخلي، أن الله كرر أربع مرات في سورة واحدة قوله سبحانه: {وَلَقَدْ **يَسَّرْنَا** الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر: ١٧]، فأتساءل متعجباً: فما بال بعض إخواننا يريد أن يحكره على المتخصصين ويحرم منه جماهير المسلمين، الذين خلق الله فيهم جميعا القدرة على أن يكونوا من المُدّكرين؟!!

كانت هناك كتابات وأطروحات **عملية**، كأطروحات الدكتور خالد اللاحم والدكتور مجدي الهلالي والدكتور هاشم الأهدل، ساعدتني كثيراً واستفدت منها جداً؛ وكانت تقدم لي قواعد وأموراً لو فعلتها كنتُ متدبراً.

لكنني كنت **أصبو لبرنامج عملي ميسر، ومرتب زمنياً، يمكن قياسه، وفي ذات الوقت (مُؤَصَّل) من ناحية الأدلة على خطواته**، ويكون حلقة في سلسلة الانتفاع بالقرآن والقيام بحقوقه كاملة ويتجلى من خلاله الدور المحوري الذي يقوم به التدبر؛ ألا وهو **تحريك القلب وزيادة الدافعية**.

ولا أدعي أن ما انتهيت إليه أفضل مما انتهى إليه علماؤنا الأفاضل؛ بل **جهدهم مشكور، وعملهم إن شاء الله مبرور**، وأنا بالنسبة لكل علمائنا المهتمين بشأن التدبر كطفل يحبو في طريقٍ هم سادته ورواده.

وبعد فترة من البحث والممارسة، ألهمني الله **تَتَبُّع أحوال النبي ﷺ وأصحابه والصالحين ﷺ فيما يتعلق بتدبر القرآن**، فوجدت بغيتي، **واقتربت كثيرا من طِلْبَتي**، وبدأت أفهم الكثير من الأمور، وتتجلى لي كثير من الحقائق من بين السطور.

زامن تلك الفترة سعيٌ مني لتأطير كثير من العبادات التي كنتُ مفرطاً فيها، كالخشوع في الصلاة، والخشية والرجاء والتوكل والإخلاص وغيرها، وكنتُ أبحث في **النسختين المسطورة والمنظورة** من الوحي، وأجمع كل ما تصل إليه يدي، وأعيد ترتيبه وتبويبه وصياغته في صورة **خطوات عملية، مرتبةٍ زمنياً**، لصياغة إطار عملي لكل عبادة من تلك العبادات.

ولقد انبهرتُ بما وجدتُ، فقد وجدتُ أن كل تلك العبادات قد تناول الوحي كل الخطوات العملية لتحقيقها، لكنها تحتاج فقط لمن يفهمها ويستخرجها ويرتبها، فكما جمع العلماء رحمهم الله كل النصوص المتعلقة بالصلاة وصاغوا لنا منظومة عملية لتطبيق صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأننا نراه، فإن **بإمكانهم فعل ذلك مع كل العبادات القلبية**.

وانطلاقاً من ذلك؛ بدأتُ أفكر في التدبر بنفس الطريقة، فقمت **بتحليل** المعنى اللغوي للتدبر، **وتحليل** النصوص المتعلقة بالتدبر، **وتحليل** المواقف التدبرية للنبي ﷺ وسلفنا الصالحين من الصحابة ﷺ والربانيين، وكلما انتهيت لأمرٍ **جَرَّبْتُه** على مستواي الشخصي وفي حلقات التدبر.

لم أكن حتى هذه اللحظة أدرك المغزى من التدبر، حتى كشف الله عن قلبي حجب الغفلة، فكان إدراكي **للدور الذي يقوم به التدبر** نقلة نوعية كبرى في رحلة تحريره وتأطيره.

انتهيت بعد تحليل عميق واستقراء دقيق؛ إلى أن هدف التدبر (تحريك القلب وزيادة الدافعية للاتباع)، وتحقيق الوصال بين:

- المفهوم من الآية (المفهومات).
- وما ينبغي تطبيقه من وصاياها (المُتَّبَعات).

ويتم ذلك من خلال التفكر في الحال (التنزيل والإسقاط) والتفكر في المآل اللذان يعملان على استجاشة معاني الإيمان في النفوس واستثارتها، لتتجشم عناء إيقاظ القلب وتحريكه.

ثم أعدتُ النظر من جديد في المعاني اللغوية، والنصوص الشرعية، والمواقف التدبرية، فوجدتُ التدبر إجرائياً عبارة عن:

- تفكر في الحال (تنزيل أو إسقاط النص على النفس)
- وتفكر في المآل (نظر في عواقب الاستجابة للنص)
- وتفاعل بالأقوال أو الأفعال أو الأحوال (تجاوب)

وبدأتُ أخيراً أمسك ببداية الخيط، ولازالت الرؤية تتبلور، وتتطور، وتتأطر، حتى آلت إلى ما هي عليه الآن.

لم يكن الأمر، مجموعة من الآليات والخطوات التي اخترعناها ثم رُحْنا نبحث لها عن أدلةٍ وشواهد، بل استفرغنا وسعنا في حصر واستقصاء واستقراء وتأصيل وتحليل وتعليل وتنزيل وتفعيل كل ما يتعلق بالأمر من نصوص مسطورة وأحوال منظورة مأثورة، ففهمنا الأمر - بفضل الله - فهماً عميقاً؛ وتحررت لدينا المصطلحات تحرراً دقيقاً، وبعدها شرعنا في الاستقرار على الوضع الأقرب للمنهج النبوي من ناحية الآليات والوسائل.

كم كنتُ سعيداً حين وجدت تلك الخطوات تقودني إلى التدبر وتحريك القلب وزيادة الدافعية، وفرِحتُ كثيرا بأن الفصام الذي كان موجوداً بين الوصايا التي أفهمها من الآيات (العلم) واتباع تلك الوصايا (العمل) قد وَلَّى؛ لَمَّا **تحرك القلب** فبدد ذلك الفصام، وحقق الوصال بينهما.

لَمَّا عايشتُ ذلك **التدبر العملي**، ندمتُ كثيرا على غفلتي عنه، فقد أورثني **منهجية سديدة في التعامل مع كل النصوص**، فجعلني أسقطها وأنزلها على نفسي، وأُقَيِّم نفسي في ضوئها، وأتفكر في ثمرات الاستجابة لها ومغبات التفريط فيها، وأتفاعل معها بالدعاء والاتباع.

لقد **وَسَّع التدبر رقعة انتفاعي بالنصوص**، بل لقد أورثني منهجية سديدة للتعامل مع كل أمور الحياة (إسقاطاً وتفكراً في العواقب وتفاعلاً)، فجنبني الله به - والحمد له - الكثير من الأضرار والأخطار، ورزقني من خلاله - والفضل له - صنوفاً من الترقي والازدهار، فلقد أسهم التدبر باختصار في **تجويد النُسُكِ والصلاة**، وأسهم في **تجويد الحياة**.

لم تكتمل فرحتي بفضل الله وكرمه، إلا حينما تمكنتُ - بعد بحث واستقصاء طويل - من تتميم **التأصيلات العلمية والمنطلقات الشرعية** لكل خطوات التدبر التي انتهيت إليها.

كنتُ حريصا على وضع التدبر في إطاره الصحيح **كجزء لا يتجزأ من منظومة الانتفاع الكامل بالقرآن (منهاج العلم والعمل)**، فاجتهدتُ في إعداد **(ورقة عمل)** أضع في مقدمتها الآية، ثم حقوقها تباعاً بصورة مرتبةٍ زمنياً، بدءً بالتلاوة وانتهاءً بالدعوة ومروراً بالتفسير والتدبر والاتباع وغيرها.

قمتُ باستخدام (ورقة العمل) في التعامل مع العديد من الآيات والسور، ولَمَّا ألفيتها نافعة على المستوى الشخصي، قمتُ باستخدامها والتدريب عليها في **حلقات التدارس**، فكان لها – بفضل الله – أثر كبير.

وما اطمأنت نفسي تماماً لِمَا انتهيتُ إليه إلا بعد تزكية العديد من أهل العلم والفضل المتخصصين في القرآن وعلومه والمعنيين بشأن التدبر، وحينها فقط بدأت أفسح المجال لإلحاح بعض الفضلاء عليّ لإصدار كتاب يتناول تجربتنا العملية بالتدبر، ليأخذ حيزا من تفكيري، **ولازالت تلك الدعوات تتنامى حتى لم يعد من إجابتها بُدٌ**، فكان كتاب (تيسير التدبر).

والله أسأل، وإليه أتضرع وأتوسل، أن **ينفعني** به والمسلمين، وأن يجعله لي **ذخراً** يوم الدين، كما أسأله سبحانه أن يكتب له **القبول**، وأن يجعله معراجاً للفوز **برضوانه** المأمول.

ولقد أصبح لدينا الآن – بفضل الله - تصور عملي كامل لحقيقة التدبر، وأدواته، ومستوياته، وكيفية استثمار ثمراته، حتى أضحى مستوى الحلقات يختلف من حلقة لأخرى حسب المستوى العلمي والإيماني للدارسين والمدرسين، فلم يصبح التدبر اليوم حكراً على طائفة دون أخرى، ولم يعد حلماً بعيد المنال.

وقد تحرر التدبر في مشروعنا - بفضل الله - لدى الشباب المسلم من أسر الهلامية، وتخلص من نَيْر النظرية، **وأدى دوره كحلقة وصل** وشرارة بدء في تجلية قضايا القرآن السلوكية والإيمانية والفكرية والتربوية والدعوية والعلمية والتنموية، **وَوَلَّد الدافعية الكبرى لاتباع القرآن** والحرص على القيام بحقوقه كاملة؛ حتى يتحقق المقصد الأكبر ويكون المسلم من **أهل القرآن الكريم**.

ولقد استطعنا بفضل الله وتوفيقه **الوقوف عند الحد الفاصل** بين ما يعتبر تركه تقاعساً، وما يعتبر الخوض فيه تجاوزاً للحدود، فمجالس التدبر والتدارس **يديرها أخ ضابط** لاعتقاد أهل السنة، ومدرك لأصول التفسير الضرورية، ومطلع على كلام أهل العلم في المسألة لكي يسدد الأفهام ويحجزها عن الشطط والأوهام.

والدارسون يعلمون جيداً أنهم ليسوا مفسرين، وليسوا علماء من حقهم الاستنباط والقياس واستخراج الأحكام الفقهية، وبذلك يكون ربنا قد تفضل علينا بمِنَّة أخرى وهي تجنيبنا ما يكون في هذا الباب من **إفراط أو تفريط**.

ولطالما حلمتُ - والله - منذ أن هداني الله لأهمية تدبر القرآن والعمل به أن أملأ ربوع الأرض كلها بمدارس قرآنية نوعية تعنى بهذا الجانب بالإضافة إلى بقية الجوانب، ونطلق عليها "**مدارس القرآن علم وعمل**".

فأسأل الله أن يريني حلمي حقيقة وواقعاً قبل مماتي، إن لم يكن على يدي فعلى يد غيري، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

رابعا: السمات المُمَيِّزة للمشروع

إذا أراد إنسان أن يتحدث عن السمات المُمَيِّزة لمشروعه؛ فإنه قد يسلك أحد هذين السبيلين أو يسلكهما معا:

- **الأول:** إبراز السمات والخصائص المُمَيِّزة لمشروعه؛ **أو بِلُغَة علماء التسويق؛** يُرَكِّز على (**الميزات التنافسية** لمشروعه)؛ أو (**الأمور الحصرية** التي تميز بها عن غيره) لو صح التعبير، وقد تكون تلك المزايا التنافسية؛ في كون ذلك الطرح جديداً متفرداً متميزاً في **فكرته وذاته**، أو متميزاً في **منطلقاته ووسائله وآلياته**، أو متميزاً **بانضمامه إلى منظومة متكاملة متفردة.**
- **الثاني:** عقد **دراسات مقارنة** للمشروعات المشابهة لمشروعه، وتحليل وتقييم تلك المشروعات تقييماً محايداً متجرداً وإبراز مواطن القصور في **الأطروحات والممارسات**، وكيف تم تلافيها في مشروعه.

لكننا في مشروعنا نؤثر الطريقة الأولى لأسباب لعل أبرزها؛ أن هدفنا الرئيسي هو **أن يعود الناس إلى المنهاج النبوي في التعامل مع القرآن الكريم**، فلو حقق الناس ذلك نرى أننا قد حققنا مُعْظَم **مهمتنا**، فإذا اتفقنا على إحياء المنهج النبوي في التعامل مع القرآن **وتحركنا للأمر تحركا يليق به**، لا يشغلنا كثيرا اسم المشروع الذي سيتبنى تقريب وتيسير وتأطير هذه الفكرة وخدمتها، المهم أن **ينطلق المشروع – حقيقةً لا ادعاءً – من هذه البوتقة تأصيلاً وتفعيلاً.**

لم يقتصر عملنا في المشروع على تبني الفكرة عاطفياً، والدعوة إليها حماسياً، **وإنما تعداه إلى** التأصيل والتفعيل، ووضع الخطط والآليات، وتصميم البرامج والمنهجيات، وبناء المحاضن والمؤسسات.

لذا أكرمنا الله سبحانه وتعالى في مشروعنا بسمات مميزة تجعله **جديراً - إن شاء الله - بخدمة هذه الفكرة العظيمة** (إحياء المنهاج النبوي).

ونترفع عن الدخول في مقارنات ومنافسات، بل نرى أن تلك التعددية المنضبطة في المشاريع والبرامج مطلوبة، وهي أكثر إثراءً لبيئة التعليم القرآني.

إن الانشغال بهدم المخالف والمنافس **فقط منهج يسلكه الضعفاء منهجياً (أصحاب المناهج الباطلة)**؛ فليس لديه من الحقائق الباهرة، والبراهين الظاهرة، ما يمنحه قوة ذاتية، وتفرداً حقيقياً، وتميزاً واضحاً عن المنافسين.

وباب خدمة القرآن أسمى وأرقى من أن يتم **استنزاف الأوقات والجهود والأفكار** في المقارنات الشخصية التي لا يترتب عليها كثير فائدة.

لذا نرى أن الأجود والأرشد أن نعرض ما لدينا ثم **نترك المجال للمُتَابع ليقارن بنفسه ويحدد؛** بِنَاءً على قواعد وأصول مُحْكَمَة، وليس انطلاقاً من أهواء وانطباعات متحكمة.

وتبقى الممارسات (التطبيقية) والآثار (العملية الواقعية) أصدق في التعبير عن السمات المميزة من التأصيلات (النظرية)؛ فالأفعال أصدق من الأقوال.

وبما أن المقام هنا لا يتسع لتفصيل في المنطلقات والآليات، فإننا سنكتفي بإيراد **أبرز ما نراه من سمات مميزة للمشروع** بأخصر صورة ممكنة[1].

---

[1] لمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة كتاب **النشرة التعريفية بمشروع القرآن علم وعمل**، ففيه الكثير من التفاصيل **والمخططات التوضيحية**، ونوصي بمطالعة **نماذج تطبيقية (دراسات تدبرية تزكوية لبعض الآيات والسور بمنهاج العلم والعمل)** من خلال الكتب التالية: (تساؤلات الحياة الكبرى، كيف نسعد بسورة الفلق؟، كيف نسعد بسورة النصر؟)، وهناك أيضاً **نماذج مرئية على قناة بالوحي نحيا** على اليوتيوب مثل (السبع العظام، أعظم آية، إني أحبها، المعوذتان، براءة، وغيرها).

(١) ننتهج في كل برامجنا الانتقال من (الفكرة) إلى (التجربة) إلى (المنهج) إلى (المؤسسة)؛ فلا نؤمن بتلك الأفكار التي لا ترتكز على قاعدة صلبة من التأصيل والتحرير الشرعي، ولا نتكلم في تلك الأفكار التي لم تأخذ حيزاً من التجربة والتطبيق، ولا نكتفي بتطبيق الأفكار وتجريبها، بل نسعى لتصميم مناهج ترتكز عليها، وتدشين مؤسسات تنفذها في أرض الواقع.

ولدينا مُنْطَلَق نتحرك في ضوئه، ونرتكز عليه، ونستلهم منه دوما، وهو (المنهاج النبوي في التعامل مع القرآن) والذي يزودنا دوما بأكمل الأفكار، وأفضل آفاق التطبيق، وأحكم المنهجيات، وأنسب معايير تدشين المؤسسات.

(٢) يعمل المشروع بصدقٍ على إحياء منهاج النبوة في التعامل مع القرآن على كل المستويات وفي كل الميادين، وتعميق صلة المسلمين به.

(٣) يعتمد المشروع (التعليم التزكوي البنائي)؛ فيسعى لبناء الإنسان الرباني من خلال تزكيته، وتزكيته من خلال تعليمه الوحي، وتعليمه الوحي بمنهاج النبوة على مستوى المعنى والمبنى، والعلم والعمل، والصلاح والإصلاح.

(٤) يتميز المشروع بوضع خطة عملية تأصيلية محكمة يتمكن العبد فيها من التحقق بوصف أهل القرآن والوصول إلى مرتبة أهل الله، كما نجح المشروع في أن يحدد للدارس طموحه فيما يتعلق بالقرآن وطبيعة علاقته به.

(٥) يتميز المشروع بصياغة خطط تشغيلية عملية يمكن قياسها لكثير من حقوق القرآن علينا؛ كالإيمان والاستعصام والاستشفاء به وغيرها؛ حيث يتمكن المتدرب من قياس نجاحه في تحقيق كل واجب من تلك الواجبات على حدة.

(٦) يعمل المشروع على **صياغة منظومة تطبيقية متكاملة مرتبة يمكن قياس كل خطوة من خطواتها، تنتظم كل واجباتنا تجاه القرآن**، بتحرير كامل لها، دون أدنى خلطٍ بينها، وتراعي **جميع المخرجات التعليمية** لعملية التعليم القرآني (المعرفية العلمية، والوجدانية النفسية، والمهارية العملية)؛ فنقرأ ونسمع ونُجَوِّد، ونفهم ونتدبر ونعمل، ثم نحفظ ونعلم وندعو.

(٧) يجعل المشروع **العمل بالقرآن هو محور اهتمامه**؛ فأعيننا على العمل، ولا نعتبر أننا نجحنا مع الدارس إلا إذا **تيسر له العمل بما تعلمه** من القرآن؛ فيعمل المشروع على **تيسير عملية العمل بالعلم من خلال إزالة كل الحواجز التي تحول بين الإنسان وبين العمل بما تعلمه**؛ حيث تزيل كل خطوة من خطوات التدارس في المشروع حاجزاً من الحواجز التي تحول بيننا وبين العمل، وبذلك يقدم المشروع **حلاً عملياً للحد من انتشار ظاهرة الفصام الفَجّ** بين العلم والعمل، والمبنى والمعنى.

(٨) **تحرير وتيسير وتقريب التدبر، ووضعه في إطار تطبيقي مرتب**، كما حررنا أن التدبر **لا ينبغي أن يطبق مبتوراً عن بقية حقوق القرآن الأخرى التي تسبقه وتجهز له، والتي تلحقه وتعززه**؛ فالتدبر **غايته** الاتباع، الذي إن لم يحدث كان الانتفاع مبتوراً وكان الأمر عبارة عن متعة عقلية ودغدغة مشاعر، **فلا نريد تدبراً بلا تدبير**.

والتدبر ولا شك **يحتاج ما يسبقه** من التجويد والتلاوة والاستماع والفهم؛ فلن نعمل على أكمل صورة إلا إذا تدبرنا، ولن نتدبر على أكمل صورة إلا إذا فهمنا، ولن نفهم على أكمل صورة إلا إذا قرأنا قراءة صحيحة بالتجويد.

(٩) يقدم المشروع أيسر الطرق لتحقيق **الثمرة الرئيسية لتعلم القرآن** وهي تزكية النفوس تطهيراً وتطويراً؛ ولذلك **فالخطة التشغيلية لاتباع** الآية أو السورة تتمحور حول التزكية تطهيراً وتطويراً، وتعاهداً وتيسيراً.

(١٠) **التعاهد التزكوي الدائم** للدارسين **والمتابعة** الدقيقة لما تعلمه الدارس من الإيمان والقرآن والعلم والعمل من خلال استراتيجيات التعاهد التزكوي.

(١١) **التأصيل العلمي المُحْكم والالتزام الكامل بمرجعية الدليل** في منهجيات وآليات صياغة المشروع؛ فلا تجدون بفضل الله **شططاً فكرياً أو شذوذاً منهجياً**، ولا تجدون بفضل الله **تكلفا ولا تعسفا** في الاستدلال بالنصوص، وما نعتمد من الأحاديث إلا **الصحيح أو الحسن**.

فشتان بين مَن يَبتكر خطوات أو آليات ثم يحاول أن يتكلف أو يتعسف في إيجاد أدلة ومستندات شرعية لها وذاك الذي يجمع النصوص والأدلة **ويستقرأها، ثم يحللها، ثم يقوم ببلورتها في صورة قالب عملي قابل للتطبيق**؛ وهذا عين ما حدث معنا؛ لقد واجهتنا **إشكاليات**، فطرحنا **تساؤلات**، ثم استعنا الله واجتهدنا في البحث لها عن **إجابات** في الوحي الشريف بنسختيه المسطورة (الأقوال) والمنظورة (الأحوال)؛ **فكان ربنا عند حسن ظننا** ومَنَّ الله علينا بالهداية.

(١٢) رغم إحكام المشروع – بفضل الله – علمياً وعملياً وتقديمه لصورة نموذجية في التعامل مع القرآن، لكنها **نموذجية منضبطة تتأبط الواقعية** على طول مسارها ولا تفارقها، فهناك تدرج في التطبيق، بل وبرامج مختلفة تناسب الجميع، بل ربما ارتضينا من البعض مجرد تسديد تصوراته فيما يتعلق بمراد الله منا فيما يتعلق بالقرآن.

(١٣) يعمل المشروع في إطارين متوازيين:

- الأول: الإطار المفاهيمي (التأصيلي): ويهدف إلى تحرير وتسديد العديد من المفاهيم المتعلقة بالقرآن الكريم وتيسير التحقق بها، وتربو تلك المفاهيم على خمسين مفهوماً؛ كأهل القرآن؛ والإيمان بالقرآن، والاستمساك، والتدبر، والتفكر، والتلقي، والأخذ بقوة، والنصح، والتأويل، والعمل، والاتباع، والتثوير وغيرها، فمعظم تلك المفاهيم يفهمها كثير من الناس على غير وجهها، ويجهلون ماهيتها، حتى عَدَّها بعضهم عبارات نظرية؛ لأنهم يعجزون عن بلورتها في قالب عملي تطبيقي.
- الثاني: الإطار المهاري (التطبيقي): ويهدف إلى تدريب الدارسين على مهاراتٍ ترتكز على المنهاج النبوي في تعلم القرآن وتدبره والعمل به وتعليمه؛ فيتمكن الدارس من التعامل مع أي آية أو سورة من خلال المهارات التي اكتسبها.

(١٤) مراعاة المقصد الأكبر من إنزال القرآن ألا وهو التعريف بالرب المجيد وترسيخ التوحيد، ودمج خطوات تحقيق ذلك المقصد في خطوات المشروع؛ ليؤتي المشروع في النهاية أكله كاملاً، وتزيد رقعة الإيمان بالله وأسمائه وصفاته في القلب، وتتحقق لوازم ومقتضيات التوحيد.

(١٥) يعمل المشروع على مراعاة أركان الإيمان والسعي في تأسيسها وتدعيمها وتكميلها وتحقيق مقتضياتها؛ كالإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر من خلال خطوات تدارس الآية أو السورة.

(١٦) يقدم المشروع للدارسين خطة عملية تطبيقية ميسرة لتحقيق الإيمان الكامل بالقرآن، ويسدد مفاهيمهم فيما يتعلق بالأمر.

(١٧) يقدم المشروع للدارسين خطوات عملية **لتجنب كل صور هجران القرآن**؛ على مستوى المعنى والمبنى، والعلم والعمل، والصلاح والإصلاح.

(١٨) يساعد المشروع الدارسين على التحقق بوصف **"الناصح لكتاب الله"**، ويقدم مفهوماً عملياً شاملاً للنصيحة لكتاب الله.

(١٩) يزيد المشروع من مساحة الإقبال على القرآن ودوام الأمل في القيام بحقوقه كاملة، حيث إن هذا المشروع **يؤثر في المتعلم ويجد من بركته في حياته** ما يزيده إقبالاً على المصحف، وتعلقا به، وييسر عليه القيام بحقوقه، **فيتمكن حب القرآن من القلوب، وتقديره حق قدره**، مما يزيد مساحة الاهتداء به، والانتصار له.

(٢٠) يقدم المشروع العلاج العملي لمشكلة الغثائية والزبدية والانشغال بالتكثير على حساب التحسين، ويعلم الدارسين **كيف يكون القرآن حجة لهم لا عليهم**.

(٢١) الإسهام العملي في العودة بالأمة للأمجاد وسبيل الرشاد؛ فالنبي ﷺ يؤكد أن الخلافة الراشدة لا تعود إلا إذا عُدْنا لمنهاج النبوة، **وهل هناك في ذلك المنهاج أهم من منهجيته ﷺ في التعامل مع القرآن؟** إنها ركيزة أساسية في كل المعالم الأخرى لذلك المنهاج.

(٢٢) يراعي المشروع إعانة الدارسين على الوصول إلى القلب السليم؛ من خلال **المنهجية التي يتم بها التعامل مع الآيات**؛ فخطوة الفهم تُسَلِّم القلب من **الشبهات**، وخطوتي التدبر والاتباع تُسَلِّمانه من **الشهوات**، ويمارس القلب أثناء عملية التدارس العديد من **العبوديات**، فيفيق من غفلته ويستشفي من مرضه.

(٢٣) يعمل المشروع على إحياء عبادة المدارسة الجماعية المتكاملة لمعاني ومباني القرآن الكريم في إطار منضبط، من خلال (حلقات التدارس التدبري).

(٢٤) يعمل المشروع على تحسين آداء مدارس القرآن وحلقات تعليمه لتكون كما أراد الله لا كما أراد الناس؛ فيراعي حقوق المعاني وحقوق المباني؛ وأبعاد الرعاية والدراية والرواية، ويزيد الحفظ إتقاناً وجودةً؛ ويكافح شبح النسيان من خلال منهجيته المرتكزة على البدء بالفهم والتدبر والعمل قبل الحفظ؛ وذلك هو الذي يتوافق مع ما خلق الله عليه الذاكرة البشرية.

(٢٥) الحرص على مراعاة ما يتسق مع أصول المشروع المنهاجية من القواعد العلمية والأصول التربوية والإدارية الحديثة في تصميم المقررات وبناء المؤسسات وتطويرها.

(٢٦) يسهم المشروع في تجويد حياة الدارسين، وإكسابهم العديد من المهارات التي يحتاجونها في حياتهم؛ كفهم النصوص وتحليلها، والقدرة على صناعة أهداف واضحة محددة، وتقييم النفس وتحديد مواطن الخلل، والتفكر في العواقب، واستجلاب عون الله، وربط الآيات بالأسماء والصفات، والتعبير عن المشاعر والقيم الشخصية واستجماع الصدق فيها، والقدرة على وضع خطط تشغيلية مقاسة محددة، وربط المعاني المحسوسة بأمور واقعية ملموسة، والدعوة إلى الله وتعليم الآخرين، وتحفيز القلب وزيادة دافعيته، والتعلم والحفظ، والتفكير والإبداع في مواجهة التحديات وتجاوز المشكلات.

خامسا: إطلالة عابرة على أبرز البرامج التطبيقية للمشروع

في طريق الارتقاء (بالموجود)، وتحصيل (المفقود)، والوصول إلى (المنشود) من اتباع منهاج النبوة في التعامل مع القرآن الكريم، ودخول ذلك العالم علماً وعملاً، وصلاحاً وإصلاحاً؛ فإن (جهود) التسديد والتجويد والترشيد تقتضي أن يمر الدارس بمجموعة من المراحل لدراسة (الآيات والسور والموضوعات) في صورة برامج (تعليمية تزكوية بنائية) على النحو التالي:

- البرنامج الأول: رحلة اكتشاف ما يقدمه لنا القرآن؛ ويهدف إلى إبراز كنزية القرآن، ومدى حاجتنا له، وتقديره حق قدره، وتوليد الدافعية للعناية بمعانيه ومبانيه على الوجه اللائق به الأرضى لله والأقرب لمنهاج النبوة، ويقترح البرنامج خطة عملية تشغيلية تفصيلية للشروع فيما نسميه (ختمة المحبة "حدثني عنك") بهدف التعرف على (الرحمن) من خلال القرآن، وكذلك (ختمة حدثني عني) بهدف التعرف على (الإنسان) من خلال القرآن.
- البرنامج الثاني: أركان المنهج النبوي في التعامل مع القرآن الكريم؛ ويهدف للبيان العلمي والعملي والتأصيلي والتفعيلي لمنهاج النبي (ﷺ) في التعامل مع القرآن الكريم علماً وعملاً وتعليماً، وصلاحاً وإصلاحاً.
- البرنامج الثالث: الهروب من الفهم؛ ويهدف لإدخال الدارس عالم العناية بمعاني القرآن على مستوى (الدراية فهماً)؛ ويناقش بالتفصيل قضية (فهم القرآن) والأوهام المتعلقة بها، ويعمل على تبديدها، ويقترح خطة عملية تشغيلية تفصيلية للشروع في (ختمة فهم) للقرآن الكريم.

- البرنامج الرابع: الوصايا العملية؛ ويهدف لإدخال الدارس عالم العناية بمعاني القرآن على مستوى (الدراية بأبرز ما ينبغي عليه فعله أو العلم بالعمل المطلوب)؛ ويتناول البرنامج بالتفصيل تلك الوصايا العملية على مستوى حقيقتها وماهيتها، وعلى مستوى فائدتها وأهميتها، وعلى مستوى منهجيتها وآليتها؛ فيبين للدارس علمياً وعملياً كيفية استخراجها، والانتفاع بها لا سيما في تطبيق ما نسميه (ختمة الوصايا) للقرآن الكريم.

☝ تنبيه: بنهاية هذا البرنامج يكون الدارس قد دخل (مفاهيمياً ومهارياً) عالم (معاني) القرآن على مستوى (الدراية أو العلم)؛ وشرع فيما نسميه ختمات الدراية (الفهم والوصايا والمحبة وغيرها)، ويحتاج بعد ذلك لدخول عالم (معاني) القرآن على مستوى (الرعاية أو العمل)؛ لكنه قبل ذلك لابد أن يعبر على قنطرة تنقله من جزيرة (الدراية والعلم) إلى جزيرة (الرعاية والعمل)، وهذه القنطرة الواصلة هي (التدبر).

- البرنامج الخامس: تيسير التدبر؛ ويهدف إلى البيان المفاهيمي والمهاري التفصيلي لعبودية (التدبر) الواصلة بين جزيرتي العلم والعمل؛ ويقترح البرنامج خطة عملية تشغيلية تفصيلية للشروع في (ختمة تدبر) للقرآن.
- البرنامج السادس: العمل بالقرآن والتزكي به؛ ويهدف إلى البيان المفاهيمي والمهاري التفصيلي للتزكي بالقرآن وميادينه ومستوياته ووسائله، ويتناول بالتفصيل ميادين ومستويات (العمل) بالقرآن على مستوى (الصلاح) للنفس اتباعاً وتحكيماً واستشفاءً وغيرها، وعلى مستوى (الإصلاح) للغير بلاغاً ودعوة وتعليماً ومدارسةً، وتنويراً وتعميراً.

- البرنامج السابع: تدبر (السور)؛ ويركز بصورةٍ أكبر على البيان (العلمي والعملي) للدراسة التدبرية التزكوية للسور بمنهاج العلم والعمل (المنهاج النبوي الرباني)؛ ويقترح خطة تشغيلية تفصيلية للشروع في (ختمة تدبرية تزكوية للسور القرآنية).
- البرنامج الثامن: معلومات حول القرآن؛ ويهدف للتعريف التفصيلي بالقرآن تعريفاً منهاجياً يسهم في تيسير تعلمه وتدبره والعمل به ودراسته (صلاحاً) وتعليمه وتدارسه والتنوير والتعمير به (إصلاحاً).

☚ تنبيهات ضرورية:

(١) تلك البرامج (الثمانية) هي أول برامج (بكالريوس العلم والعمل) الذي يقدمه معهد العلم والعمل.

يتم تقديم (دائرة صغرى مختصرة) من البرامج السالفة في الجزء (الأول) من (الدورة التأهيلية لمنهاج العلم والعمل) في (ستة) أيامٍ دراسية مدة الواحد منها (خمس) ساعات صافية؛ الأول منها بعنوان (اكتشاف)، والثاني بعنوان (أركان المنهج النبوي)، والثالث بعنوان (ختمات الدراية)، والرابع والخامس بعنوان (تدبر التدبر)، والسادس بعنوان (التزكي والعمل بالقرآن ودراسته).

أما الجزء (الثاني) من تلك الدورة فنخصصه لمشاريع العلم والعمل الأخرى (السنة والإيمان والأسماء الحسنى والقصص والسيرة والفقه وغيرها).

(٢) هناك بعد ذلك برامج أخرى تخصصية كتدبر الموضوعات، والحلول القرآنية للمشكلات الإنسانية، والبصائر المنهاجية والإدارية، وغيرها الكثير.

(٣) تنقسم برامج أو ميادين أو مستويات مشروع القرآن علم وعمل إلى:

- **البرامج الأفقية العرضية:** كتدبر (الموضوعات) الإيمانية أو العمرانية المختلفة في القرآن (كاملاً)؛ كأننا نضع كل سور القرآن بجوار بعضها في صفٍ واحدٍ، ثم نبحث في كل واحدة منها عن هذا الموضوع وندرسه ونتدبره.
- **البرامج الرأسية الطولية:** كأننا نرتب السور فوق بعضها البعض، ونشرع في دراستها وتدبرها صعوداً بالترتيب ككلمات، وآيات، ومقاطع داخل السورة، ثم ننتقل من السورة إلى ما بعدها؛ **وأبرز أنواع ذلك القسم:**

- **تدبر الآيات:** ففي تعاملنا مع الآية في هذا البرنامج لا نهدف لمجرد تدبرها، **وإنما نهدف للدارسة الكاملة الشاملة؛ لمعانيها** درايةً علمية ورعايةً عملية (أي: تفهماً وتدبراً واتباعاً)، **ولمبانيها** روايةً (أي: تلاوةً وتجويداً واستظهاراً واستماعاً)، ولكيفية تعليمها وبلاغها والدعوة إليها.

ونحرص على تحويل التعامل مع الآية القرآنية **لعملية تعليمية تزكوية بنائية مكتملة الأركان؛** تشمل تعلم العلم، وتعلم العمل، والتعاهد فيما تم تعلمه من العلم والعمل، ويتم في تلك العملية التعليمية **مراعاة جميع مخرجات التعليم الكامل** المعرفية والوجدانية والمهارية.

- **تدبر السور:** وهو برنامج نتعامل فيه مع السورة القرآنية **كما لو كانت آية واحدة؛** لأننا نفترض أن السورة القرآنية **(خطاب تعليمي كامل)** يشتمل على **موضوع واحد أو موضوعات مترابطة،** ويتضمن الجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية المتعلقة بهذا الموضوع.

وفي هذا البرنامج، نجتهد في **تحديد موضوع السورة** من خلال عشر **آليات استقرائية** كجزء من خطوة الفهم، ثم نحدد **الوصية الرئيسية** للسورة ونشرع في **تدبر** السورة كوحدةٍ واحدة **واتباع** ما أوصت به.

(٤) تجدر الإشارة إلى أن مشروع القرآن علم وعمل كان بمثابة (الأساس والنبراس) لمعظم مشروعات وبرامج (العلم والعمل) الإيمانية والعمرانية.

- فقد خرج من رَحِمِه وقام على سَاقِه فيما يخص (الكبار): مشاريع السنة علم وعمل، والإيمان علم وعمل، والأسماء الحسنى علم وعمل، والقصص علم وعمل، والسيرة علم وعمل، والفقه علم وعمل، والعلوم العمرانية علم وعمل، وغيرها.
- كما خرج من رَحِمِه وقام على سَاقِه فيما يخص (الأطفال): منهج المتدبر الصغير (الخاص بتعليم وتزكية وبناء الأطفال بالمنهاج النبوي الإيمان قبل القرآن)؛ وبرنامج فإخوانكم (الخاص برعاية الأيتام بمنهاج الإيمان قبل الأبدان)، وبرنامج التعليم المعاون (الخاص بالتعليم والبناء الإيماني والعمراني للأطفال).
- وخرج من رَحِمِه وقام على سَاقِه أيضاً برامج ومبادرات جماهيرية (توعوية تثقيفية) كدبلومة صناعة الطفل القرآني، ودبلومة بناء الأبناء، ودبلومة إسعاد الأولاد، ودبلومة إمداد الفؤاد، وماراثون ختمات الدراية، ومسابقة الماهر بالرواية والدراية.